إلى الروح

نهى الماجد

«سنبيع البيت».. تلقاها في صمت رغم علمي أنه كان ينتظرها! أخي الرقيق لديه الوقت للحزن على أشياء باقية وراحلة .. وأخرى سترحل! سنبيع البيت، أو بالأحرى سأتخلص أنا منه .. صمتك الدائم شجعني على ذلك، وأرجوك لا تحاول أن ترمقني بنظراتك تلك كأنك تأمرني .. أنت تعلم أنه لم يعد لك وجود .. لم تعد كائنًا في تلك الحياة .. حاولت كثيرًا أن أخبرك بذلك وأقنعك به، ولكن .. كيف أجادلك وأنت أبي؟!

إرادتك .. إرادتك القوية الرافضة لكل شيء تقريبًا .. لِم لا تريد أن ترحل إلى عالمك الشفاف الذي صرت منه؟ .. ما سر تمسكك بهذا العالم الذي نعيشه؟ .. ما سر تمسكك بالبيت؟ .. هل ستشتاق إليه إن غادرته إلى الأبد؟ .. أنت لم تكن تتعلق بشيء .. حبك دائمًا كان خاطفًا .. ليس لأنك لا تريد أن تضعف، ولكن لرغبتك في ألا تتمسك بما سيظهر ضعفك هذا .. وهل تتوقع أن صورتك الصلبة استطاعت أن تخدعني؟ .. أنت ضعيف.. كلنا ضعفاء..

سأتخلص من البيت ومن صورتك، لكني لن أستطع التخلص منك .. أكره بعضي الذي يشبهك بكل ما يحمله من جمال .. صوتي العذب، وجهي باستدارته القمرية، أصابع يدي المرسومة، كل ما أعرفه وما لم أكتشفه بعد.. أكرهه لأنه يحملك .. لم أخترك ولم تخترني كأننا لسنا بشرًا وإنما محض أقدار .. كان يمكنني أن أصير ما تريد فقط إن وافقت على أن تصير ما أريد، ولكنها إرادتك.. إرادتك العنيدة .. أخذت قرارًا أن تكون أبًا وأنت لم تكن زوجًا، قررت أن تصبح زوجًا

ولم تكن حبيبًا .. كيف؟ .. لست مؤهلًا لأي شيء .. حتى قرارك بأن تظل هنا رغم موتك وأنت لم تكن حيًّا في يوم من الأيام .. لِم ترفض الاعتراف بعجزك إذن؟!

يصعب إرضاؤك كما تتعسر مواجهتك .. لم أخبر أحدًا بما أعيشه ولن أخبره، حتى أخي .. أخي المسكين الذي قرر أن يقضي الليلة الأخيرة هنا في البيت قبل أن يباع .. أصابني الصداع والملل من حديثه السخيف المليء بالشجن .. يلعن تلك الحاجة التي تجبر المرء على أن يبيع أشياء لم تخلق للبيع .. سعادة، دموع، زمن، حياة .. هو مثلي تمامًا.. يراك مثلما أراك لكنه استطاع أن يستقل بحياته ويتحدى نفسه ليخلق تلك الأسرة التي كانت تطارده في أحلامه، والتي لم تستطع أنت أن تصنعها!

«ماذا؟ شاهدته؟ كيف؟ لقد مات!» .. المسكين اقتحم غرفتي مفزوعًا بعدما أيقظه صوت تلاوتك للقرآن ورآك بعينيه وأنت تصلي الفجر .. لم أعطه فرصة للصمت أو التفكير .. مجرد الصمت يكفي لأن يعطي مساحة لضميره كي يتكلم ويشعره بالذنب، ومجرد التفكير سيجعله يتراجع عن قرار البيع فقط لأن ظهورك يعني رفضك .. رغم أنك صرت بلا إرادة، أليس كذلك؟ .. عمومًا لقد كان يريد أن يسمع حديثي أو بالأحرى حديث نفسه الصارخة بالحاجة .. الخائفة من الإفلاس.. أو أنه الفقر!

سأنجح وسأغادرك وَلْتَبْقَ أو لا تبقى، هذه ليست مشكلتي .. إنني أريد الرحيل .. أريد الاستقلال .. رؤيتك تقيدني، تشعرني بأن الزمن متوقف وأنني لا زلت صغيرًا، تثير ذعري من أن أضحي مثلك .. لا زلت أفعل ما تريد، ولا زلت ترفض أن تفعل ما أريد .. ألا يمكن أن تصبح إرادتك

لصالحي ولو لمرة؟ .. آه لو تتكلم، لو ترضى، لو توقن، لو تؤمن .. أراك ولا أحسك! ألقاك ولا أشعر بك، أجدك وأجهل السبب الذي يجعلني أفتقدك .. هذا صحيح .. أبي.. أفتقدك!